المبحث الأول
مفهوم التكافل الاجتماعي

نقف في هذا المبحث على معنى التكافل الاجتماعي في اللغة، والقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وفي الاصطلاح وتطبيق التكافل الاجتماعي في المجتمعات غير الإسلامية، وفي الدول الإسلامية. وذلك من خلال مطالب ثلاثة، هي على الترتيب:

- المطلب الأول: مفهوم التكافل الاجتماعي لغة واصطلاحاً.
- المطلب الثاني: التكافل الاجتماعي في الاقتصاد الوضعي.
- المطلب الثالث: التكافل الاجتماعي في الدولة الإسلامية.

المطلب الأول
مفهوم التكافل الاجتماعي لغة واصطلاحًا

١. التكافل في اللغة:

بمعنى التفاعل الذي يحدث بين أفراد الجماعة أو الهيئة الواحدة[١]. الكافل العائل وقد كفله وكفّله. والضامن كالكفيل. وكفلاء وكفيل أيضًا. والكافل المجاور المحالف والمعاقد والمعاهد. واكتفل بكذا ولاه وكفله[٢].

أمر الخالق سبحانه وتعالى عباده بأن يتكافلوا فيما بينهم على فعل الخير في قوله: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى﴾[٣].

إن التكافل كان حال صحابة رسول الله ﷺ وقد شهد سبحانه وتعالى على ذلك بقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾[٤].

---

(١) الأساتذة المصريون العرب المتخصصون: معجم العلوم الاجتماعية، مراجعة إبراهيم مدكور، ص٣٧٣.

(٢) الفيروز آبادي: المعجم الوسيط، مرجع سابق، المجلد الرابع، ص٤٥. فصل الكاف باب اللازم.

(٣) سورة المائدة: من الآية رقم ٢.

(٤) سورة الفتح: من الآية رقم ٢٩

يتضح هذا التكافل بين المسلمين على المستوى الاقتصادي في وصفه تعالى للأنصار في مجتمع المدينة: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

تبين الآيات المواقف التي تتطلب تكافل المسلمين وتآزرهم في قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾[2].

تعتبر قصة سيدنا يوسف عليه السلام[3]، في مواجهة سنوات القحط باختزان الغلال في سنابلها، أول صورة منظمة للتكافل في المجتمعات الزراعية. وإن كان تميزها الأساسي يرجع إلى إطلاع الله إياه عليه السلام على الغيب حتى يضع خطته للتكافل الاقتصادي، تحسبًا لما سوف تواجهه الأمة من أزمة طاحنة تمتد على مدى سبع سنوات.

لقد جاء عن الألوسي: «وكان عليه السلام في تلك المدة فيما يروى لا يشبع من الطعام. فقيل له: أتجوع وخزائن الأرض بيدك؟ قال: أخاف إن شبعت أن أنسى الجائع. وأمر عليه السلام طباخي الملك أن يجعلوا غذاءه نصف النهار. وأراد بذلك أن يذوق طعم الجوع، فلا ينسى الجياع»[4]. ويضيف عليه السلام تكافل القائد والحاكم مع أفراد شعبه.

٢. التكافل الاجتماعي في الحديث الشريف:

لقد فسر الرسول ﷺ التعاون والتراحم بين المسلمين، وكفالتهم لبعضهم البعض، وكفالة المجتمع لمن يحتاج إلى ذلك منهم في أحاديث عدة، تضع أسس وقواعد التكافل بين المسلمين.

يقول ﷺ في وصف تكافل المسلم للمسلم: أخرج مسلم عنه ﷺ أنه قال:

---

١. سورة الحشر: الآية رقم ٩.

٢. سورة البقرة: من الآية ١٥٥.

٣. سورة يوسف: الآيات من رقم ٤٣ - ٥٦.

٤. الألوسي (شهاب الدين السيد محمود): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع مثاني (إدارة الطباعة المنيرية، بيروت لبنان، بدون تاريخ)، المجلد الثالث عشر ص٦.

(المسلم لا يظلمه ولا يسلمه)[1]. ويأخذ بيده[2]. قال أبو محمد: «من تركه يجوع ويعرى، وهو قادر على إطعامه وكسوته، فقد أسلمه»[3].

في رواية أخرى تفسير لكفالة المسلم لأخيه المسلم. عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه. من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة[4] فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيمة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة»[5].

أما تكافل المؤمن للمؤمن، فيقول عنه الرسول ﷺ «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا»[6]. كما يقول ﷺ: «مثل المؤمن إذا لقي المؤمن فسلم عليه كمثل البنيان يشد بعضه بعضًا»[7].

كذلك قوله ﷺ: «مثل الأخوين مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى»[8] ويعلق الإمام الغزالي على الحديث بقوله: «إنما شبههما باليدين لا باليد والرجل، لأنهما يتعاونان على غرض واحد.. وهذا يقتضي المساهمة في السراء والضراء والمشاركة في المآل والمال وارتفاع الاختصاص والاستئثار بالمواساة بالمال مع الأخوة[9].

يفسر الرسول ﷺ هذا التكافل الذى يربط المسلمين المؤمنين في قوله: عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من نفّس عن مؤمن كربة[10] من كرب الدنيا نفّس

---

(١) رواه البخاري. وفي نص موجز عن أبي داود عن سويد بن حنظل. حديث حسن. في السيوطي: الجامع الصغير، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص٦٦٨. حديث رقم ٩٢٠٩.

(٢) القرضاوي: مشكلة الفقر، مرجع سابق، ص١٣٥.

(٣) المرجع نفسه، ص١٣٩ ــ ١٤٠.

(٤) الكربة: ما غم النفس وهم القلب.

(٥) متفق عليه. في النووي: رياض الصالحين، مرجع سابق، ص١٢٧.

(٦) رواه عن أبي موسى: البخاري ومسلم والترمذي والنسائي. حديث حسن. في السيوطي: الجامع الصغير، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص٦٦٠. حديث رقم ٩١٤٣.

(٧) للخطيب في التاريخ عن أبي موسى. حديث ضعيف. في المرجع نفسه، المجلد الثاني. ص٥٣٠. حديث رقم ٨١٤٦.

(٨) رواه السلمي في آداب الصحابة، وأبو الديلمي في سند الفردوس. من حديث أنس. في الغزالي: إحياء علوم الدين. مرجع سابق، المجلد الثاني. ص١٥٨

(٩) المرجع نفسه، المجلد الثاني، ص١٧٣.

(١٠) بابراء أو هبة او صدقة أو نظرة الى ميسرة بنفسه او واسطته

الله عنه كربة من كرب يوم القيمة، ومن يسّر على معسر[1] يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقًا يلتمس[2] فيه علمًا سهل الله به طريقًا إلى الجنة[3]، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله[4] ويتدارسونه بينهم إلا أنزلت عليهم السكينة[5] وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده[6]. ومن بطأ[7] به عمله لم يسرع به نسبه»[8].

على ذلك يكون تكافل المؤمنين بعضهم لبعض كما قال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد: إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[9].

٣. التكافل الاجتماعي في الاصطلاح:

يقصد بالتكافل الاجتماعي بمعناه اللفظي، أن يكون آحاد الشعب في كفالة جماعتهم، وأن يكون كل قادر أو ذو سلطان كفيلاً في مجتمعه يمده بالخير، وأن تكون كل القوى الإنسانية في المجتمع متلاقية في المحافظة على مصالح الآحاد، ودفع الأضرار، ثم المحافظة على دفع الأضرار عن البناء الاجتماعي، وإقامته على أسس سليمة.

إن التكافل الاجتماعي في مغزاه ومؤداه أن يحس كل واحد في المجتمع بأن عليه واجبات لهذا المجتمع يجب عليه أداؤها، وأنه إن تقاصر في أدائها فقد يؤدي ذلك

---

(١) اعانه بقلبه أو ببدنه أو بماله.

(٢) يطلب.

(٣) يرشده إلى الهداية.

(٤) القرآن الكريم.

(٥) طمأنينة القلب برحمة الله.

(٦) علو مكانة.

(٧) قصر.

(٨) لم ينحط برتب الاعمال الكاملة. يمر الناس على الصراط على قدر اعمالهم زمرا زمرا. أداؤهم كلمح البرق وكمر الريح وكمر الطير سعيا ومشيا على بطنه. يقول يارب، بطأت بي. فيقول الرب تبارك وتعالى بطأك عملك. في النووي. رياض الصالحين. مرجع سابق. ص١٢٧ ــ ١٢٨

(٩) أحمد في مسنده ومسلم. كلاهما عن النعمان بن بشير. حديث صحيح. في السيوطي. الجامع الصغير. مرجع سابق. المجلد الثاني. ص٥٣٢. رقم ٨١٥٥.

إلى انهيار البناء عليه وعلى غيره، وإن للفرد حقوقًا في هذا المجتمع يجب على القوامين أن يعطوا كل ذي حق حقه من غير تقصير ولا إهمال، وأن يدفع الضرر عن الضعفاء، ويسد خلل العاجزين، أنه إن لم يكن ذلك تآكلت لبنات البناء ولا بد أن يخّر منهارًا بعد حين[١].

يشمل مفهوم التكافل الاجتماعي المفاهيم الوضعية للتأمين الاجتماعي Social Insurance، والمساعدات الاجتماعية Social Aid، والضمان الاجتماعي Social Security، ويزيد عنها.

فهو يقوم على كفالة أفراد المجتمع جميعاً فيما يتعرضون له من خسائر اقتصادية[٢]، بما يتفق وحاجاتهم الشخصية[٣]، لضمان تحررهم من الفاقة والعوز[٤]، لا يكون قاصراً على مخاطر العمل فقط، ولا توزيعاً للخسائر بين المشتركين المعرضين لنفس الخطر، ولا في حدود الموارد العامة للدولة فحسب[٥]، كما لا يكون قاصراً على الخسائر الاقتصادية دون غيرها. إذ لا تقتصر الأزمات الطارئة التي يتعرض لها الأفراد على الأزمات الاقتصادية، وإنما هناك الأزمات البيولوجية والبيو اقتصادية Bio –economic.

تتمثل الأزمات الاقتصادية أساساً في العوامل المعروفة للحصول على الدخل المناسب، وأهمها بطالة من يقوم عادة بعمل منتظم، ويبحث عن فرصة عمل مناسبة[٦]، أو موت عائل الأسرة، وكذلك الشيخوخة والعاهات المستديمة، وكبر حجم الأسرة. أما الطوارئ البيولوجية التي يتعرض لها الأفراد، فإنها في المرض والولادة والإصابات البدنية، ويتطلب مواجهة هذه الطوارئ تقديم المعونات المادية، والخدمات الصحية، على السواء[٧].

---

(١) أبو زهرة. التكافل الاجتماعي في الإسلام، مرجع سابق، ص٥.

(2) Wolfenden (Hugh): The Real Meaning of Social Insurance (Macmillan, Canada, 1932) p: 4.

(3) Brinker (Paul): Economic Insecurity & Social Security (Appleton, N. Y., 1968) p: 87.

(4) Richardson (Henri): Economic &Financial Aspects of Social Security ,an International Survey (Univ. of Toronto Press, Toronto, 1960) p: 27.

(٥) الموسوعة العلمية والعملية للبنوك الإسلامية، مرجع سابق، الجزء الخامس، ص١٨٢.

(6) ILO: Social Security: Principles (Geneva, 1944) p: 44.

(7) Hasan (Najmul): Social Security System of Islam With Special Reference to Zakat (International Center for Research in Islamic Economics. King Abdulaziz Univ., Jeddah, S.A., 1404 h/ 1984) p: 6.

تتمثل الطوارئ البيو- اقتصادية في وضع العامل الذي يتقدم به السن، فيعجز عن العمل، وإن كان لازال في عمره بقية، حيث يحتاج خلال الفترة المتبقية من حياته بعد التقاعد، إعانة مادية، فضلاً عن توفير العناية الصحية له[1].

على ذلك، فإن التكافل الاجتماعي يوجب سد حاجة المحتاجين، ممن لا يستطيعون القيام بعمل، فيسد عجز العاجزين، ويهيء العمل للقادرين، فالذين يخرجون إلى الحياة وقد فقدوا الآباء الذين يعولونهم ويرعونهم، فإن التكافل يوجب تعهدهم ليكونوا لبنات قوية في بناء المجتمع، وأن الذين يعجزون بعد القدرة من العاملين، فعلى المجتمع أن يسهل لهم الحياة، وفاء ما قد قدموا من خدمات. كما أن التكافل الاجتماعي يوجب العمل على سلامة كل قوى الآحاد حتى تتمكن من السير مع قافلة المجتمع العاملة[2].

فالتكافل الاجتماعي هو الثمرة الطبيعية لتآزر العلاقات الروحية والاقتصادية والثقافية التي تربط بين أفراد المجتمع بعضهم ببعض، إذا اجتمعوا بمكان، وضمهم مجتمع[3]. فهو مفهوم يعتمد على مبدأ اشتراك جميع أفراد المجتمع فيما استخلفهم فيه الله من ثروات وخيرات، حيث يصبح لزامًا كفالة من يعجز، بصفة مؤقتة أو دائمة، عن توفير الكفاية له ولمن يعول لأسباب خارجية خاصة أو عامة.

فقد جاء في الاختيار شرح المختار للموصلي: (ومن اشتد جوعه حتى عجز عن طلب القوت، ففرض على كل من علم به أن يطعمه، أو أن يدل على من يطعمه. فإن امتنعوا عن ذلك حتى مات، اشتركوا في الإثم، لقوله ﷺ: «أي رجل مات ضياعًا بين أغنياء فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله»)[4].

بل إن الإمام ابن حزم يذهب إلى أبعد من ذلك، في عبارة واضحة، ولفظ صريح: «إذا مات رجل جوعًا في بلد اعتبر أهل هذا البلد قتله، ثم أخذت منهم الدية»[5].

---

(1) Ibid. p: 6 -7.

(٢) أبو زهرة: التكافل الاجتماعي في الإسلام، مرجع سابق، ص٥ ـ ٦.

(٣) الخولي: الثروة في ظل الإسلام، مرجع سابق، ص٢٢٣.

(٤) الموصلي: الاختيار. شرح المختار، ص٣ وص١٢٩. في عباس (السيد حسن): النظرية العامة للتأمينات الاجتماعية (منشأة المعارف، الإسكندرية، سنة ١٩٨٣م) ص٣٨١.

(٥) ابن حزم: المحلى. مرجع سابق. المجلد السادس. ص١٥٦.

يوضح الإمام ابن حزم ذلك بقوله «لا يحلّ لمسلم اضطر أن يأكل ميتة، ولحم خنزير، وهو يجد طعامًا فيه فضل عن صاحبه، لأن فرضًا على صاحب الطعام إطعام الجائع، فإذا كان ذلك، فليس بمضطر إلى الميتة، ولا إلى لحم الخنزير وله أن يقاتل عن ذلك، فإن قتل (الجائع) فعلى قاتله القود (القصاص) وإن قتل المانع، فإلى لعنة الله، لأنه منع حقًا، وهو طائفة باغية، لقوله تعالى = ﴿فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ﴾[1] ومانع الحق باغ على أخيه الذي له الحق»[2].

فالتكافل، إذن، هو المبدأ الذي يفرض فيه الإسلام على المسلمين كفالة بعضهم بعضًا، ويجعل الكفالة فريضة على المسلم في حدود ظروفه وإمكاناته، يجب عليه أن يؤديها على أي حال، كما يؤدي سائر فرائضه. حيث يعتبر التكافل الاجتماعي تعبيرًا عن الأخوة العامة. وتمارس الدولة في حدود صلاحيتها، حماية هذا الحق وضمانه[3].

على ذلك، فإن جوهر التكافل بمفهوم الإسلامي المحيط، أصل من الأصول التي ينظم العلاقات في المجتمع، في مواجهة الظروف الاستثنائية الخاصة أو العامة، والتي تخرج بالأفراد عن حقهم الأصيل في توفير حد الكفاية. وهو مفهوم يتضمن ضروبا من الحقوق لم يسبق بمثلها الإسلام، ولم يلحق على ما جاءت به آية الصدقات.

تتوقف الأدوات المستخدمة لتحقيق التكافل الاجتماعي، على المبادئ التي تعتنقها الجماعة الإنسانية، والأولويات التي تسعى إلى تحقيقها. ونعرض فيما يلي، بمشيئة الله، للتكافل في الاقتصاد الوضعي وفي المجتمع الإسلامي.

المطلب الثاني
التكافل الاجتماعي في الاقتصاد الوضعي

لقد تعرضت الجماعات البدائية، منذ العصور القديمة، للأزمات الاقتصادية التي كانت ترجع أساسًا إلى ثورة العوامل الطبيعية من براكين وزلازل وفيضانات، وما تخلفه من تدمير للحياة والموارد الغذائية، فضلاً عن نشر الذعر وعدم الأمان.

---

(١) سورة الحجرات: من الآية رقم ٩.

(٢) ابن حزم: المحلى، الموضع نفسه.

(٣) الصدر: اقتصادنا، مرجع سابق، ص ٦٣٠ ــ ٦٣٣.